Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 22:2 (1987

الملاحظات النقدية الأولى وأثـرها

فى نشأة المصطلحات البلاغية

للدكتو ر أيوب عبدالعزيز بدران

صلة البلاغة القولية و العلمية بالأدب والنقد الأدبى

الأدب و النقد و البلاغة كلمات متآخية بينها قدر كبير من التلازم و الارتباط، ما ان تذكر احداها حتى تقفز الأخريان الى الذهـن، اذ الأدب فى أدق معانيه و أبسطها هو الجيد من الفن القولى الذى يصل الى أعماق النفس و يؤثر فيها، و هو : الكلام البليغ الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المنافقين به ليبلغ منهم و يؤثر فيهم فى قوله تعالى : ,,أولئک الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم و عظهم و قل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » ، (سورة النساء ٦٣) و قــد وردت كلمة (أدب) بمعنى (علّم المنطق الفصيح المؤثر فى النفس) فى قول الصديق أبى بكر للنبى صلى الله عليه وسلم عندما أعجب من بلاغته : ,,لقد طفت العرب و سمعت فصحاءهم ، فما سمعت بالذى هو أفصح منک، فمن أدبک؟،، فيجيبه صلى الله عليه وسلم بقوله: ,,أدبنى ربى فأحسن تأديبى». فسؤال الصديق بقوله : ,,من أدبک؟،، يعنى من علمک هذا الكلام البليغ المؤثر فى النفس الذى لم أسمع مثله من عربى قط » .

حقا لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، اذ كمله برجاحة العقل و صفاء

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الحس، و قوة، الطبع و تمكن اللسان، و محض السليقة ؛ ليكون مبلغا لكلمته ولسانا لوحيه .

اذا، فبلاغة القول و الأدب كلمتان متلازمتان لا تفترقان، فحيثما وجدت البلاغة في القول كان الأدب، وحيث انتفت البلاغة عن القول زال عنه اسم الأدب، وإلاّ فلما ذا لا نطلق على القصائد التى تنظم لتسجيل القواعد اللغوية، و الحقائق العلمية كألفية ابن مالك و ,,عقود الجمان فى علمى المعانى و البيان،، للسيوطى و أمثالهما اسم الأدب؟،، ثم لماذا نطلق على معلقة امرئ القيس و معلقة زهير وأشباههما اسم الأدب؟ ،

هذا من ناحية صلة البلاغة القولية بالأدب، أما من ناحية صلة البلاغة العلمية بالأدب و النقد فان الأدب هو الميدان الرحب الذى يعمل فيه كل من النقد و البلاغة، فاذا كان النقد هو تفسير الادب وتحليله فان البلاغة تعتبر وسيلة من وسائله، بل هى أهم تلك الوسائل . اذ مهمة الناقد تجاه تفسير العمل الأدبى وتحليله تنصرف أول ما تنصرف الى بيان خصوصيات التعبير وتميز الأداء، الأمر الذى يعد مناط التفاوت بين أديب وآخر ، فينظر الناقد أولا الى الألفاظ التى اختارها الأديب ليصوغ منها عمله ليرى هل حققت تلك الألفاظ الغرض الذى أراده الشاعر، أو الكاتب فوضحت فكرته ونقلت مشاعره و أحاسيسه الى قارئه أو سامعه؟ . أو أنها عجزت عن ذلك؟ ، ويسجل السبب فى كلتا الحالتين، ثم يبين أيضا هل استخدمت الألفاظ فى معانيها التى وضعت لها فى أصل اللغة ، أو استخدمها فى معان أخرى بينها وبين المعانى الحقيقية علاقة ، أو لا علاقة بينهما :

ثم ينتقل الى الجملة ـ و الجملة هى وحدة البناء فى العمل الأدبى اذ هى الخطوة الأولى التى يخطوها الأديب للخروج بمفردات اللغة من دائراتها المعجمية ليعطينا طعومات متعددة ، و مذاقات مختلفة بحسب نوع العلاقة التى أوجدها بين أجزائها .

و الجملة فى لغة العرب لها نظام خاص، و نسق معين اتفق عليه أهلها، و ارتضوه فيما بينهم، يسبق المسند اليه المسند فى الجملة الاسمية، ثم تأتى مكملا تها . ويتقدم المسند على المسند اليه فى الجملة الفعلية ، ثم تأتى متعلقات الفعل . ينظر الناقد ليرى هل التزم الأديب بهذا الترتيب فى نظمه للجملة ، فوضع كل عنصر فى موضعه منها ؟ . أو أنه خالف ، فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم ؟ ، ثم ينظر كذلك ليرى هل نكر فى موضع التعريف ، أو عرف فى موضع التنكير،؟ أو ذكر فى موطن الحذف أو حذف فى موطن الذكر، أو أضمر فى مكان الاظهار أو أظهر فى مكان الاضمار .

فاذا كان قد فعل شيئا من ذلك فعلى الناقد أن يذكر القيمة الفنية التى يرمى اليها الأديب، و الغرض البلاغى الذى يقصده ،

ثم ينتقل بعد ذلك الى الفقرة من النثر أو المقطع من الشعر فيوضح العلاقات و الروابط التى أوجدها الأديب بين الجمل والأدوات التى استخدمها ثم يبرز القيمة البلاغية لكل أداة من تلك الأدوات، ثم يبين مدى انسجام تلك الجمل و تناسقها، أو تنافرها واختلاقها .

و بعد أن ينتهى الناقد من دراسة تلك الجزئيات و توجيه تصرفات الأديب فى تشكيل بنيته، عليه أن يحدد ملامح أسلوبه و ميزات أدائه وخصائصه الفنية ؛ ليقول لنا ، هل هو ممن يفضلون الاطناب بتكرار الجمل و ترادفها وتأكيدها ؟ . أو ممن يميلون الى الايجاز بوضع المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة ؟ ، أو ممن يسوون بين المعانى والألفاظ ؟ .

وقبل كل ذلك عليه أن يبين هل جاء كلامه مطابقا لأحوال المخاطبين و ملائما للغرض الذى يرمى اليه ؟ .

فالبلاغة اذا ، هى الأداة التى يستطيع الناقد أن يفرق بها بين الجيد و الردئ من القول،كما أنها تعين أيضا على انشاء الجيد من

الشعر و النثر ، وقد كان القدماء يطلقون على علوم البلاغة اسم (نقد الشعر) كما فعل قدامة بن جعفر ، أو (قواعد الشعر) كما فعل أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعــلب . أو (صناعة الشعر و النثر) كما فعل أبو هلال العسكرى .

مكانة الأدب فى العصر الجاهلى

لا شك أن العرب فى العصر الجاهلى قد وصلوا الى مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان أهلتهم لأن ينزل القرآن بلغتهم، وعلى رسول من جنسهم متحديا اياهم بأن يأتوا ولو بأقصـر سورة من مثلـه، فمنهم الشعراء النوابغ ، و الخطباء المصاقع، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر. و الخطب الطوال البليغة و القصار الموجزة ، و كانوا يتنافسون فى الفصاحة و البلاغة و يتفاخرون بهما فيما بينهم .

وقد صور لنا القرآن الكريم مدى ما وصلوا اليه من قوة البيان وشدة التأثير على سامعى كلامهم فى عدة مواضع ، منها : قوله تعالى : ,,فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذر به قوما لدا،، (١) . وقوله ,,كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ،، . (٢) وقوله تعالى : ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ،، (٣) .

واذا ما نظرنا الى الفنون الأدبية فى العصر الجاهلـى وجدناهـا تتضمن الشعر و الخطابة و الكتابة و المفاخرات و المنافرات و الحكم والأمثال و الوصايا وسجع الكهان، الا أنه لم يزدهر من بين تلك الفنون سوى الشعر و الخطابة ، اما لأنّ معظم تلك الفنون يرجع اليهما ، و اما لأنهما الفنان اللذان يستطيعان أن ينهضا بعبء حياة العرب فى ذلك العصر . تلك الحياة التى كانت تتميز بالأنفة و الكبرياء العنيد و الذود عن الحمى و الدفاع عن الجار، وتهتـم أكثـر ما تهتـم بالافتخـار بالأحساب و التباهى بالأنساب ، و الانتصار للأخ حمية و عصبية و مدح الشجاعة ، و ذم الجبن و الخور و الفرار من ساحات القتال .

الشعر و الخطابة اذاً ، هما الأداتان الطيعتان اللتان بهما تثار النفوس و تلهب العواطف عند حمل السلاح، و خوض المعارك ، أو عند الدعوة الى السلم ، و حقن الدماء ، أو لاعلان الفضائل ، و عد المآثر ، أو الوفادة الى الملوك و الأمراء ، واذا كان الشعر و الخطابة هما أبرز الفنون الأدبية فى العصر الجاهلى فان الشعر يمتاز عن الخطابة بالوزن و القافية مما يسبب سهولة حفظه و اختزان العقول له، حتى صار المروى من الشعر يفوق بكثير المروى من الخطابة مما هيأ له ,,أن يصبح ـ بحق ـ ديوان العرب يحفظون به مكارمهم ، ويقيدون به مناقبهم، ويضمنونه ذكر وقائعهم على أعدائهم و يستودعونه أخبار صنائعهم الى أوليائهم» . (٤)

و من ثم كانت القبيلة من العرب تفتخر بالشاعر وتهتم به اهتماما قد يفوق اهتمامها بفرسانها و أبطالها الذين يحملون السلاح دفاعا عن مقدسات القبيلة و ذودا عن حرماتها ، اذ الدفاع باللسان لايقل عن الدفاع بالسنان ، كما قالوا : ,,جرح اللسان كوخز السنان» ، لأن الطعن بالسنان يصل الى الجلد و اللحم، أما الطعن باللسان فانه يصل الى القلب ، وقالوا : ,,رب قول أنفذ من صول» (٥) . يقول ابن رشيق : ,,كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، و اجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس ، لأنه حماية لأعراضهم و ذب عن أنسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم ، و كانوا لايهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم»(٦).

وفى أى مجتمع يوجد به أديب يوجد من يتلقى هذا الأدب سماعا أو قراءة ، فاذا عبر المتلقى عن رأيه ازاء هذا الأدب استحسانا أو استهجانا كان هذا ضربا من النقد . وقد يعلل الناقد رأيه فيكون نقده موضوعيا، أما اذا أغفل التعليل أو لم يستطعه فيكون نقده ذاتيا .

و هذا ما أثر عن العرب فى عصورهم الأدبية الأولى ، فقد وصلنا مع ما روى عنهم من أدب نقد له، الا أنه كان فى أغلب صوره نقدا

ذوقيا يقوم على احساس فنى يعتمد أكثر ما يعتمد على الموهبة و الدربة و الخبرة بنظم الشعر و روايته، دون أن يتمكن من تقديم تعليل موضوعى لما يرى . بينما كان فى بعضها الآخر نقدا موضوعيا يستند الى تعليل يدل على بصر نافذ و دراية واضحة بفنون القول و طرائقه .

واذا كانت الملاحظة النقدية مبنية على أساس مقبول من التعليل فقد تتطور بمرور الوقت وتشيع وتنتشر، ثم تتحول الى قاعدة أسلوبية تستطيع أن تفرض نفسها فى محيط العلم وتنضم الى موكبه،

و سنختار هنا بعضا من ملاحظات النقد فى عصوره الأولى ما كان مبنيا على تعليلات أسهمت بشكل أو بآخر فى بناء صرح علم البلاغة : بمعنى أنها وجهت أنظار العلماء الى تحديد بعض المصطلحات البلاغية أو فتحت المجال أمامهم لدراستها .

لمحات نقدية من العصر الجاهلى

أولا : من من الشعر :

تروى لنا كتب الأدب أن امرأ القيس و علقمة بن عبدة التميمى تنازعا الشعر و ادعى كل منهما أنه أشعر من صاحبه . فاحتكما الى أم جندب زوج امرى القيس، فقالت: ,,قولا شعرا فى وصف الخيل،، ، فقال امرؤ القيس : (٧)

,,فللسوط ألهوب و للساق درة : : وللزجر منه وقع أجرد مهذب،، (٨)

وقال علقمة :

,,فأدركهنّ ثانيا من عنانه : : يمر كمر الرائح المتحلب ،، (٩)

فقالت أم جندب بعد سماع ما قاله كل منهما فى وصف فرسه : ,,علقمة أشعر منك،، ، لأنك زجرت فرسك، و حركته بساقك، و ضربته بسوطك، و أن فرسه أدرك الصيد ثانيا من عنانه، ولم يضربه بسوط، ولم يحركه بساق، ولم يزجره بصوت ،، .

فالصفات التى ذكرها أمرؤ القيس فى وصف فرسه لا تدل على أنه أصيل، حتى قال أبو هلال العسكرى: ,,لو وصف بهذه الصفات أخس

حمار و أضعفه ما زاد على ذلك» (١٠) .

أما الصفات التى ذكرها علقمة فقد دلت على أن فرسه كريم، فكأنها قالت : المقام للفخر، ومقام الفخر يستدعى ذكر الصفات الكريمة ، ولما كان الذى ذكره امرؤ القيس من الصفات لايدل على الكرم والأصالة ، فقد عابته أم جندب ، وفضلت عليه علقمة الذى أصاب مقام الفخر .

وتدلنا هذه الملاحظة ـ ان صحت ـ على أن أم جندب قد عرفت الكناية عن صفة وان لم تسمها بلفظها ، اذ ليست الكناية عن صفة الا استدلالا بصفات مذكورة على صفة غير مذكورة ، وعرفت كذلك حسن ما طابق الحال منها وسوءما خالفه (١١)

ومن ذلك ما روى ان المتلمس أو المسيب بن علس (١٢) كان ينشد طرفة بن العبد قصيدته التى مطلعها :

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

نحييك عن شحط وان لم تكلم

فلما انتهى الى قوله :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره

بناج عليه الصيعرية مكدم (١٣)

قال طرفة ناقدا هذا القول : ,,استنوق الجمل» اذ أن الصيعرية سمة فى عنق الناقة فهى صفة من صفاتها ولازم من لوازمها ، وصف بها الشاعر الجمل فكان ذلك مطعنا فى ذكورته فضلا عن فحولته .

وهذا ما يسميه البلاغيون بالتعقيد المعنوى ؛ لأنه لا ينتقل من وصف الجمل أو البعير بالصعيرية الى اصالته وفحولته ، وانما ينتقل من الوصف بهذه الصفة الى الأنوثة والضعف والرخاوة .

وقد لعبت الأسواق الأدبية ـ فى العصر الجاهلى ـ دورا كبيرا فى تطور اللمحات النقدية وتعميقهاتلك الأسواق التى كانت تقام كل عام

فى موسم الحج ـ مثل سوق ذى المجاز، وسوق مجنة ، وسوق عكاظ، وكانت القبائل تفد الى تلك الأسواق من كل أنحاء الجزيرة لقضاء الحج ولأغراض أخرى كالتجارة ، والنظر فى الخصومات القائمة بين القبائل ، وقضاء الديون ، وانشاد الشعر .

الا أن أهم تلك الأسواق وأخطرها بالنسبة الى الأدب هو سوق عكاظ ، فقد كان يقام فيه كل عام مهرجان للشعر ـ ان صح هذا التعبير ـ عقب موسم الحج تتبارى فيه العقول ، وتتسابق قرائح الأدباء، يغتنم الشعراء فرصة اجتماع القوم لقضاء شئونهم فينشدون ما جادت به قرائحهم، وما نظموه من أشعار على مسمع من الجماهير المحتشدة ، وكان لكبار قريش الزعامة على تلك المحافل الأدبية لشرفهم، ومكانتهم الدينية، فهم بنو ابراهيم ، وسدنة البيت وحراسه، ولهجتهم أفصح لهجات العرب ؛ ومن ثم فان الشعراء كانوا يتخيرون الجيد من الألفاظ، والمألوف منها بين القبائل المختلفة عساهم ينالون استحسان قريش ورضاها، وقد كان المتقدمون من الشعراء يقومون بالحكم فى هذه المباريات الشعرية لما خصوا به من حسن الذوق، ودقة النظر وصواب الحكم .

ومما يروى أن النابغة الذبيانى كانت تضرب له قبة حمراء من الجلد فى سوق عكاظ ، وكان الشعراء يؤمونه من كل حدب وصوب ينشدونه قصائدهم ، وكان النابغة يبدى ملاحظاته على معانى الشعراء وأساليبهم وألفاظهم . ويقال : أنه فضل الأعشى ميمون بن قيس على حسان بن ثابت فثار عليه حسان وقال له : انى والله لأشعر منك ومنه ، فقال له النابغة : حيث تقول ماذا ؟ قال حيث أقول :

لنا الجفنات الغريلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما (١٤)

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : انك لشاعر ، لولا أنك قللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك (١٥)

وتدل هذه الملاحظة على أن النابغة كان يعرف أن مانسميه جمع المؤنث السالم ، وصيغة ,,أفعال» في جمع التكسير تفيدان القلة ، وأن غيرهما من الصيغ كان أولى بالاستعمال في هذا المقام ، فليس المقام هنا لصيغة فعلات وصيغة أفعال اللتين تدلان على عدد محدود، وانما المقام لغيرهما من الصيغ التى تدل على الكثرة غير المتناهية ليناسب الفخر .

وتفيدنا هذه الملاحظة أيضا أن النابغة كان يعرف مفهوم بلاغة الكلام في أدق صوره وأرقاها، وهو المطابقة لمقتضى الحال ، اذ المقام للمباهات والفخر بصفات : الكرم والشجاعة وعراقة الأصل، ولما لم يوف حسان هذا المقام حقه من المبالغات عابه النابغة واستدرك عليه .

,,وقد صارت هذه الاشارات بابا من أبواب البديع عند أسامة بن منقذ ، سماه باب ,,التفريط» وقال فيه ,,اعلم أنّ التفريط أن يقدم الشاعر على شى فيأتى بدونه فيكون تفريطا منه ، اذ لم يكمل اللفظ ، أويبالغ في المعنى، وهو باب واسع عليه يعتمد النقاد والشعراء وهو مثل قول حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغريلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دمـــا

فرط في قوله الجفنات» لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول : لدينا الجفان لأن العدد الأقل لايفخربه، وكذلك أسيافنا ، لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول : وبيض لنا ، وفرط في قوله ,,الغر» لأن السواد أمدح من البياض لكثرة الدهن والقرى فيه، وفرط في قوله ,,يلمعن بالضحى» وهو قادر أن يقول : ,,بالدجى» لأن كل شى يلمع في الضحى؛ وفرط في قوله ,,يقطرن» ، وهو قادر على أن يقول : يجرين لأن القطر قطرة بعد أخرى (١٦) .

هذا ما يتعلق بنقد الشعر ، أما بالنسبة الى الخطابة، فقد روى الجاحظ ما يدل على مدى اهتمام الجاهليين بها، واعتزازهم بالبيان فيها حتى فضلوه على كل ما عداه من مقومات الانسان فقالوا : انما المرأ باصغريه قلبه ولسانه ان صال صال بجنان ، وان قال قال ببيان (١٧).

وعرف الجاهليون عيوب اللسان التى تخل بفصاحة الخطيب وتقلل من مقدار قوله كالعى والحصر، والفأفأة والتمتمة ، واستعاذوا بالله من شرها، فقال النمر بن تولب :

أعذنى رب من حصر وعى

ومن نفس أعالجها علاجا (١٨)

وكما كانوا يستعيذون بالله من شر هذه العيوب كانوا يتمدحون بالسلامة منها فقال الهذلى : ابن أبى عنترة من سعد هذيل يرثى ابن عم له :

ألا لله درك من

فتى قوم اذا رهبوا

وقالوا من فتى للحر

ب يرقبنا ويرتقب

فكنت فتاهم فيها

اذا يدعى لها يثب

الى أن قال :

ولا حصر بخطبته

اذا.ما عزت الخطب

وقال غيره :

ومابى من عى ولا أنطق الخنا

اذا جمع الأقوام فى الخطب محفل (١٩)

وقال الآخر:

ولست بفافاء ولاتمتام

ولا كثير الهجر فى المنام (٢٠)

وكانوا يتمدحون بالخطباء الذين يطابقون بين الكلام والمقامات التى يقال فيها فيكتفون فى مقام الايجاز بالاشارة ، والاقتدار فى مواطن الاطالة على الغزارة ، يقول الشاعر فى هذا المعنى :

يرمون بالخطب الطوال وتارة

وحى الملاحظ خيفة الرقباء

واذا كان الايجاز أصلا فى بلاغات اللغات فانه فى بلاغة العرب أصل وروح وطبع وهو حد البلاغة عند أكثم صيفى حكيم الجاهلية فقد روى أنه خطب أمام كسرى ملك الروم خطبة بليغة وكان مما قاله فيها ,,البلاغة الايجاز،، وكانما قد أنعم النظر فى الأساليب وسار فى خطبه على قاعدة معينة هى قاعدة الايجاز ومن ثم فقد عرف البلاغة بأنها الايجاز (٢١)

ثالثا: الكتابة : أما بالنسبة الى الكتابة فقد عرفها الجاهليون، وألموا بالأصول التى يجب أن تراعى فيها روى أبو هلال العسكرى أن أكثم صيفى كان اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : افصلوا بين كل معنى منقض، وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض وكان الحارث بن شمر الغسانى يقول لكاتبه المرقش : اذا نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه ، فافصل بينه بين تبيعته من الألفاظ ؛ فانك اذا مزقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمزق به نفرت القلوب من وعيها، وملتها الأسماع واستثقلتها الرواة (٢٢)

وفى هذا ما يدل على معرفة الجاهليين بالمواضع التى يحسن فيها الفصل والمواضع التى يحسن فيها الوصل، وهما من البلاغة بمكان حتى قصر بعضهم البلاغة على معرفتهما .

محصلة العصر الجاهلى

من الملاحظات السابقة يتبين لنا : أن النقد فى العصر الجاهلى قد شمل أشهر الفنون الأدبية الموجودة فى ذلك العصر ، وأنه اتخذ صورا

مختلفة وأنماطا متنوعـة، وهو وان كان فى أغلب أحواله نقدا ذوقيـا يعتمد على احساس فنى صادق ، يقوم به المجيدون من الشعراء ، وذوو الدربة والعلم، وعمدتهم فى نقدهم خبرتهم الطويلة بالشعر ونظمهم له ، الا أننا لا نعدم بعض الأحكام المعللة . كما فى نقد أم جندَب لامرى القيس ، ونقد طرفة للمتلمس ، ونقد النابغة لحسان بن ثابت .

وقد دلت تلك الملاحظـات علـى معـرفة الجاهليـين للمطـابقة لمقتضى الحال والكناية والتعقيد المعنـوى، ودلالات الالفـاظ علـى معانيها ، ومواطن استعمـالاتها، والتفـريـــط فى القـول ، والفصـل والوصل والعيوب التى تخل بفصاحة اللسان فاستعاذوا بالله من شرها وتمدحوا بالسلامة منها .

عرف الجاهليون هذه الألوان فنونا قولية يطبقونها فى كلامهم دون أن يعرفوا لها اسما، أو يحددوا لها رسما ، كما عرفوا أيضا الايجاز فى القول والاطناب فيه ،

وتعد تلك الملاحلظات لبنات متميزة فى صرح البلاغة العربية، ومنارات أضاءت الطريق أمام الباحثين الذين أقاموا البناء الشامخ لهذا العلم الجليل .

((ملاحظات نقدية فى صدر الاسلام))

أخذت الملاحظات النقدية فى صدر الاسلام تنمو وتتسع بسبب تأثر الذوق العربى ببلاغة القرآن، وفصاحة النبى صلى الله عليه وسلم .

فقد نزل القرآن بأسلـوب بهر العـرب وأدهش عقـولهم، وملك نفوسهم ـ وهم أساطين البلاغة وفرسان الكلام ـ لما فيه من جمال اللفظ ، وسمو المعنى ، وبراعة التصوير وقوة البيان .

جاء القرآن على هذا النمط الفريد من الفن القولى ، فسجدوا له بعد أن عجزوا عن مجاراته ولو فى أقصر سورة من مثله .

ومن ثم فان العربى عندما آمن بمحمد ورسالته، انما كان ذلك عن اقتناع مطلق وعقيدة صادقة بأن هذا الكلام لايمكن أن يكون من صنع

.سر، ولا يستطيع أحد ـ مهما أوتى من بلاغة ـ أن يحاكيه ولو فى النذر اليسير منه .

فها هو ذا التاريخ يحدثنا عن عمر بن الخطاب الذى كان من ألد أعداء الاسلام وأشد الناس خصومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وكان النبى يدعو أن يعزالله الاسلام به ولكنه عندما سمع آيات من سورة طه أحس تفوق هذا الأسلوب الالهى بقلبه فآمن انه مما لايد للناس بمثله، وانما هو طراز الهى من القول العربى ومعجزة سماوية لهذا النبى الأمى، فلم يملك الا أن يعلن اسلامه لتوه .(٢٣)

لم يكن هذا رأى من شاء الله أن يدخل الاسلام فحسب، ولكنه كان رأى من عاند وكابر ولم يدخل فيه مثل عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة . فقد روى أن الأول ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه المال والجاه والسلطان عله يترك أمر الرسالة ، فيتلو عليه النبى آيات من أول سورة فصلت الى قوله : فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله ,,فما ان يصل النبى الى تلك الآية حتى يضع عتبة يده على فم النبى ويناشده الرحمن أن يكف عن ذلك الذى يتلوه عليه . ثم عاد الى قومه ليقول لهم : والله لقد سمعت من محمد قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر ، يا معشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وما هو فيه، فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ ، لقد كان عتبة بن ربيعة من بلغاء القوم يعرف منازعهم فى القول ويدرك ابداعهم لضروب البيان المختلفة ... ولكنه عند ما يستمع الى هذا النمط من البيان يأخذ عليه أقطار نفسه ... ويبلغ به التأثر النفسى أقصاه فيخاف من روعة ما سمع أن تنقض عليه الصاعقة ، ويسرع بيده الى فم الرسول صائحا : أمسك عليك يا ابن أخى، ثم يرجع الى قومه ليعلن انفراد الأسلوب القرآنى بقوله : والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر . (٢٤)

أما الوليد بن المغيرة فقد كان من أعلم الناس بالشعر والرجز والقصيد، وكان كثيرا ما يحرص على سماع القرآن من رسول الله ، فبلغ ذلك أبا جهل فطلب منه أن يقول قولا يدل على أنه كا ره لما جاءبه محمد فيعلن الوليد رأيه فى القرآن . بعبارة رائعة حيث يقول : والله ما يشبه الذى يقوله محمد شيئا من هذا الشعر ولا ذلك الرجز، والله ان لقوله لحلاوة، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق، وانه ليعلو ولا يعلى عليه . (٢٥)

أخذ العلماء يبحثون عن سبب عجز العرب عن محاكاة النص القرآنى فنشأت العلوم العربية وآلاسلامية التى تعين على فهم القرآن وادراك مراميه، فألفت فى العصور الأولى كتب كثيرة فى معانى القرآن واعرابه ومجازه ونظمه واعجاز، فألف فى معانى القرآن : واصل بن عطاء والكسائى والأخفش والرؤاسى ويونس بن حبيب والمبرد وقطرب النحوى والفراء وأبو عبيدة وابن الأنبارى والزجاج وخلف . (٢٦)

وألف أبو عبيدة فى مجاز القرآن، وألف الجاحظ فى نظم القرآن ، وله كتاب آخر باسم المسائل فى القرآن ولبشر بن المعتمر كتاب فى متشابه القرآن ولمحمد بن يزيد الواسطى كتاب اعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه : ولابن الاخشيد كتاب نظم القرآن وألف الرمانى والخطابى والباقلاتى وعبدالقاهر الجرجانى فى اعجاز القرآن ونظمه وتركيبه . (٢٧)

كل هذه التآليف وأولئك مما أثرى البحث البلاغى ووسع دائرته وهذب مسائله، بل كان ارهاصا بأستقلال علم البلاغة على يد الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فى القرن الخامس الهجرى .

ثانيا : أثر الهدى النبوى

اما النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان أفصح العرب وحديثه أعذب الحديث وكلامه فى الطبقة العليا من البلاغة بعد القرآن الكريم، ولا عجب من ذلك فانه لاينطق عن الهوى وانه من قريش ، ونشأ فى سعد بن بكر .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعتز ببلاغة منطقة ، وفصاحة أسلوبه فلم يصف نفسه بقوة الجاه ولا بعموم السلطان ولا بأنه أشرف خلق الله وانما وصف نفسه بالفصاحة مما يدل على شرف قدرها، وسمو مكانتها ومما يجب أن يتصف المسلم بها فقال :

,,أنا افصح العرب بيدأني من قريش " .

وتتجلى فصاحته صلى الله عليه وسلم فى أنه كان يعطى لكل مقام مقاله : فيطنب فى مقام الاطناب، ويوجز فى مقام الايجاز، ويهجر الغريب الوحشى، ويرغب عن الهجين السوقى، ويخاطب كل قوم على مقدار طبقتهم وقوتهم فى المنطق .

فقد روى عنه أنه لما أراد أن يكتب الى أهل فارس يدعوهم الى الاسلام كتب اليهم بما يسهل ترجمته ولايخفى معناه على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب الى قوم من العرب كوائل بن حجر الحضرمى وأكيدر صاحب دومة الجندل فخم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه، وعادتهم لسماع مثله (٢٨) يقول الجاحظ فى وصفه كلامه ,,هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف استعمل المبسوط فى موضع البسط والقصور فى موضع القصر، وهجر الغريب الوحشى، ورغب عن الهجين السوقى، فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق (٢٩)

وقد كانت بلاغته صلى الله عليه وسلم : مما ترنو اليها النفوس وتهفو اليها القلوب ويعجب منها أساطين البلاغة وفرسان البيان حتى قال له على ابن ابى طالب : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لا نعرفه فمن علمك فقال صلى الله عليه وسلم : أدبنى ربى فأحسن تأديبى .

وقال له الصديق أبوبكر : لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم فماسمعت الذى هو أفصح منك، فمن أدبك ؟ فأجابه بمثل ما أجاب به عليا .

وقد أثرى النبى اللغة والأدب بتراكيب بلاغية جديدة لم ينطق بها أحد قبله.منها:قوله عند اشتداد الحرب فى بدر ,,الآن حمى الوطيس،، وقوله ,,لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ،، قاله لأبى عزة الشاعر وكان يحرض عليه ويؤلب الناس ضده ، فأسر يوم بدر، ثم من عليه وأطلقه فعاد الى ما كان عليه ، ثم أسر يوم أحد وسأل النبى أن يمن عليه ثانيا فقال له : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٣١) وهو كناية عن الفطنة والحذر .

وقوله ,,اياكم وخضراء الدمن ،، قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال : المرأة الحسناء تنبت فى المنبت السو ,,تشبيها للمرأة الجميلة الحسناء تتربى فى بيت غير شريف بالشجرة اليانعة التى تنبت فى مجمع الأبعار وموضع القاذورات وقوله ,,هذه مكة قد ألقت اليكم بافلاذ كبدها ،، تشبيها لوجوه مكة وساداتها بالأكباد، قاله عند خروج المسلمين يوم بدر لقتال المشركين .

ويروى عن على كرم الله وجهه أنه قال : ما سمعت كلمة من العرب الاوسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول ,,مات حتف أنفه،، (٣٢) وما سمعتها من عربى قبله .

واذا كان هذا من وصف كلامه صلى الله عليه وسلم فانه طالما كان يوجه أصحابه ويرشدهم الى تصفية كلامهم وتخليصه من كل ما يشينه فقد ورد نهيه لهم عن العيوب التى تخل بفصاحة كلامهم وتقلل من مقدار بلاغته كالثرثرة والفيهقة، والتشادق والتقعر والتكلف فقال : ,,ان أبغضكم الى، وأبعدكم منى مجلسا يوم القيام الثرثارون المتفيهقون ،، وقال ,,إياى والتشادق،، (٣٣)

والمقصود من هذا النهى ترك الغريب والحوشى من الكلام والبعد عن التكلف والتعقيد فى القول .

وكان صلى الله عليه وسلم ينكر السجع المتكلف ويمقته، فقد روى عنه ذلك لمن جاءوه يكلمونه فى شأن الجنين بقولهم : أندى من لا شرب ولا أكل ، ولاصاح فاستهل أليس دمه يطل؟ فقال : أسجعا كسجع الكهان ؟؟!(٣٤)

وهذا مما يدل على شدة انكاره للتكلف فى القول والتصنع فيه .

وكان يأمر أصحابه بالايجاز فى القول وعدم التكلف فيه ، فقد ورد عنه أنه قال ,,نضر الله وجه رجل أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته ,,وقوله لجرير بن عبدالله البجلى ,,يا جرير اذا قلت فأوجز ، واذا بلغت حاجتك فلاتتكلف „ (٣٥)

وكان يوجه أصحابه أيضا الى أن يطابقوا بين كلامهم والقامات التى يقال فيها مستشهدا لهم بقول سيدنا عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل ,,لا تكلموا الحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . (٣٦)

ولعل هذا ما عبر عنه بقوله : أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم„ .

أما عن الشعر ونقده فقد كان عليه الصلاة والسلام ذواقا للشعر ناقدا له فقد ورد عنه أنه قال : انما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه، كما ورد عنه أنه قال : ان من البيان لسحرا، وان من الشعر لحكمة . (٣٧)

قال ابن رشيق : قرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حكمة، لأن السحر يخيل للانسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يصور فيه الحق بصور الباطل ، والباطل بصورة الحق ؛ لرقة معناه ولطف موقعه (٣٨) وروى عنه أنه كان يعجب من قول طرفة بن العبد :

ستبدى لک الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيک بالاخبار مالم تزود

ويقول : هذا من كلام النبوة

وقال :

أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :
,,ألا كل شى ما خلا الله باطل »

واذا كان البلاغيون يقولون : ان لكل كلمة مع صاحبتها مقاما فان النبى قد أرشدهم الى هذا ولفت نظرهم اليه ، فمع شدة اعجابه بقصيدة كعب بن زهير ,,بانت سعاد فقلبى اليوم متبول »

يصلح له قوله فيها :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الهند مسلول

ويجعله : مهند من سيوف الله مسلول

وما انطوى عليه هذا التعديل نقد يوجه به الرسول كعبا الى صواب القول فان سيوف الله هى التى لاتفل ، ولا تنبو ظباتها ، ولا تحيد عن مواطن الحق . وان مرد القدرة والامر كله لله (٣٩) وبهذا التعديل سلم البيت من تكرار الهاءات فى مهند والهند وارتقى الى الدرجة العليا من البلاغة .

ثالثا : دور الصحابة

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم نقاد ابصيرين بمحاسن الكلام ، يستطيعون بفطرتهم اللغوية وذوقهم العربى الأصيل أن يميزوا جيد الكلام من رديئه فقد روى عن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه أنه كان يقدم النابغة على غيره من الشعراء . ويقول عنه ,,انه أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا ، وأبعدهم قعرا» (٤٠)

ومما هو مشهور عنه : أنه مربرجل يحمل ثوبا فظن أنه يريد بيعه ، فقال له : أتبيع هذا الثوب ؟ فأجابه الرجل بقوله : لا ، عافاک الله »

وتأذى الصديق مما يوهمه ظاهر اللفظ ، اذيوهم الدعاء عليه لا الدعاءله ، فقال مرشدا الرجل الى ما ينبغى أن يقال فى الاجابة عن مثل هذا السؤال : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله .

وهذا التوجيه منه رضى الله عنه يدل على معرفته بفنون القول ، وأسرار التراكيب ومواضع فصل الجمل ووصلها، وما زالت تلك العبارة تدرس فى كتب البلاغة فى باب الفصل والوصل كمثال من أمثلة الوصل لكمال الانقطاع مع ايهام الفصل خلاف المقصود .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب ناقدا للشعر ذواقة له ,,وكان الناس يعرفون له هذا ويعترفون له به ، ويحتكمون اليه فى أمر الشعر، وينزلون عند رأيه، وقد أثر عنه فى هذا الشأن شى كثير، وأحكامه ونظراته الصادقة فى الأدب تعد رائدة لتطور النقد ، فى قيامه على أسباب موضوعية مفصلة ، وعلل وأصول واضحة (٤١)

فقد روى عنه أنه قدم زهير بن أبى سلمى وعلل تقديمة اياه بانه كان لا يعاظل فى الكلام، ويتجنب حوشى الألفاظ ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه (٤٢) واذا كانت القضية الثالثة تقوم على أساس دينى خلقى ، لأنها تعنى أن زهيرا كان صادقا فيما يقول لا كذب فى شعره ولا تزيد، فان القضيتين الثانية والثالثة من صميم بحوث البلاغة اذ المعاظلة فى الكلام : أن يركب بعضه بعضا، ويتداخل حتى يصعب نطقه، أو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فى نظمه وتركيبه، وهذا ما يسمى فى عرف البلاغيين بتنافر الكلمات ، أو التعقيد اللفظى ، أما حوشى الألفاظ فهو الوحشى الغريب منها، وكل ذلك من العيوب المخلة بفصاحة الكلام وبلاغته .

وأنه كان يعجب من بيت لزهير به صحة تقسيم وهو قوله :

فان الحق مقطعه ثــلاث

يمين أو نفار أو جلاء (٤٣)

فقد روى عنه انه كان يكثر من ترديد هذا البيت ويقول : لو أدركت

زهيرا لوليته القضاء لمعرفته به (٤٤) .

وروى عن ابن عباس أنه قال : قال عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فأنشدته قوله فى مدح هرم بن سنان :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فقال له عمر : ما كان أُحب الى لو كان هذا الشعر فى مدح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد أطربه هذا الشعر لما فيه من المبالغة المقبولة ، وسلامة معناه وحسن صياغته . وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ على زهده ونسكه ـ يتذوق الشعر وينظر فيه وينقده ، أنشد قول زهير :

ومهما يكن عند امرى من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

فأعجبه صواب معناه وقال : أحسن زهير وصدق ، فلو أن رجلا دخل بيتا فى جوف بيت لتحدث الناس به .

وقد أثر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية ، فجروا معا علمنا من السابق منهم، واذا لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة . فقيل له : ومن هو ؟ فقال الكندى يعنى امرأ القيس ، قيل : ولم ؟ قال لأنى رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة .

والامام على بهذا القول الموجز يوجه النقاد الى اهمية رعاية اتحاد الزمن بين الشعراء عند نقدهم والموازنة بينهم، واتحاد الغرض الذى يقولون فيه أيضا ، ويوضح أن من أسباب تفضيل شاعر على آخر حسن نوادره وسبقه الى الابداع والا ختراع . (٤٥)

كما روى عنه أيضا أنه عرف البلاغة بقوله : البلاغة افصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل «

قال أبو هلال ومثله قول الحسن : البلاغة ايضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات .

وقريب منه قوله الحسين بن على رضى الله عنهما : البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة .

ومثله قول محمد بن على رضى الله عنهما : البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ . (٤٦)

ومع أن هذه التعريفات متقاربة فى المعنى الا أُنها فى ذلك الوقت المبكر تعد اشارات واضحة على طريق البحث البلاغى .

محصلة عصر النبوة والخلفاء

وهكذا خطا النقد الأدبى فى عهد النبى والخلفاء خطوات واسعة الى الأمام مسترشدا بأسلوب القرآن وبلاغته ، وفصاحة النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته فرأينا انكار السجع المتكلف ، والنهى عن الثرثرة والفيهقة والتشادق، وأن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما والحث على الايجاز فى القول ، ووجوب المطابقة بين الكلام والمقامات التى يقال فيها فى أسلوبه صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته لأصحابه .

كما رأينا الوصل بين الجمل لايهام الفصل خلاف المراد فى توجيه سيدنا أبى بكر لحامل الثوب ، ورأينا تقديم سيدنا عمر بن الخطاب لزهير بن ابى سلمى لسلامة شعره من الغريب والوحشى والتنافر والتعقيد وأن من شرط الموازنه بين الشعراء عند على كرم الله وجهه اتحاد الزمن والغرض، وأن من أسباب تفصيل شاعر على آخر حسن نوادره وسبقه الى الابداع والاختراع . ورأينا أيضا تعريف البلاغة بأنها : افصاح قول عن حكمة مستغلقة وابانة عن مشكل .

((المناخ الأدبى فى العصر الأموى))

ازدهر النقد فى عصر بنى أمية وكثرت الملاحظات التى تتصل ببلاغة الكلام وحسن صياغته وجمال أسلوبه . فقد انتعشت الحركة الأدبية فى ذلك العصر انتعاشا فرضته طبيعة الحياة الجديدة للدولة الاسلامية فقد تغير نظام الحكم عما كان عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، وذلك أن استيلاء معاوية على مقاليد الأمر كان ارتدادا عن مبدأ الشورى والديمقراطية الذى ظل يحكم عملية اختيار الخلفاء طيلة عهد الراشدين، كما كان ايذانا بتحول الحكم الى ملكية وراثية يتلقفها صاغر عن كابر وبداية مباشرة لظهور الأحزاب السياسية . كالأمويين والشيعة والخوارج والزبيريين والتى سرعان مانشأ بينها صراع رهيب على السلطة .

فألامويون يعتبرون أنفسهم أحق بالخلافة ممن سو اهم بدعوى أنهم ورثة عثمان وعصبته والشيعة يرون أن الخلافة حق لعلى وأبنائه استحقها بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم له فمن نازعهم هذا الحق كان ظالما .

والخوارج يعتبرون الخلافة حقا للمسلمين جميعا يتولى أمرها أكثرهم قدرة على النهوض باعبائها وتحمل تبعاتها .

والزبيريون يرون ان الخلافة يجب ان تكون لقريش دون عامة الناس بشرط أن يختار لها من القرشيين اتقاهم واقدرهم على تحمل مسئولياتها . وليس احق بها فى نظرهم من عبدالله بن الزبير، ومن الطبيعى أن يكون لكل حزب خطباؤه وشعراؤه الذين يشيدون به ، ويدافعون عنه ، ويؤلفون القلوب حوله ، ويؤلبون النفوس ضد أعدائه ، فظهرت طائفة من الشعراء والخطباء السياسيين وقفوا أنفسهم للدفاع عن أحزابهم ينصرونها بقوة البيان ، ويشيدون بمبادئها فى قصائدهم ، ومن هؤلاء : جرير والفرزدق والاخطل والكميت وابن قيس الرقيات ،

فالكميت شاعر بنى هاشم ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، وقد صار شعر هؤلاء غذاء للعصبيات ، ومادة للمفاخرات والمنافرات ، هذا على المستوى السياسى . أما على المستوى الاجتماعى فقد عمل خلفاء بنى أمية على احياء العصبيات القبلية القديمة ، وعودة ذلك الصراع الحاد الذى حرص الاسلام على اطفائه فظهرت طائفة من الشعراء الهجائيين أكثروا من الهجاء وعاشوا عليه ، وتبادلوا المناقضات يحيون بها العصبية ويورثون العداوة ، ويتبارون فى فنون الهجاء القزع بالتباهى بأحساب الجاهلية ومآثرها ونبش ما دفنه الاسلام من مثالب القبائل ومعايبها .

ويمثل هذه الطائفة : جرير والفرزدق والأخطل والراعى والبعيث فقد قذفوا كل عرض وانتهكوا كل حرمة حتى كان الناس يستجيرون بقبر غالب والد الفرزدق من هجائة .

كذلك عمل خلفاء بنى أمية على شغل شباب بنى هاشم الموجودين بالحجاز فأخذوا ينفقون عليهم الأموال الطائلة ويغرونهم بالخيرات الكثيرة ويسلطون عليهم الغنى والفراغ ليصرفوهم عن التفكير فى شئون الخلافة ، وسياسة الدولة ، فانصرفوا الى مجالس اللهو والغناء ، وتتبع النساء، ومغازلة الحسان ، والتعرض لهن فى كل مكان فظهرت طائفة من شعراء الغزل العابث كعمر بن ابى ربيعة ، وجميل بثينة وكثير عزة ـ فقد كانت قصائدهم تفيض بالعبث والمجون ، وتذخر باللذات العارمة حتى شاع هذا اللون من الغزل وفتن الناس بروعته وسحره .

ثم هناك الاستقرار النسبى الذى نعمت به الدولة الاسلامية بعد الفتوحات التى تحققت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الخلفاء الراشدين ، هذا الاستقرار أتاح الفرصة للمسلمين أن يتجهوا نحو كتاب الله وسنة رسوله يستخرجون مافيهما من جمال اللفظ وسمو المعنى وسحر البلاغة وروعة البيان .

يضاف الى كل ما سبق اهتمام الخلفاء بالشعر والشعراء، وتشجيع المنافسة بينهم وقد ظهر هذا الاهتمام واضحا فى قصور الخلفاء ومجالسهم فكان الشعراء يأتونهم من كل مكان لينشدوا أشعارهم، وكان الشاعر ينال من الجوائز بقدر ما فى شعره من جودة سبك ودقة معنى وحسن بيان .

لهذه الأسباب وغيرها نشطت الحركة الأدبية فى عصر بنى أمية ، وبالتالى كثرت الملاحظات النقدية التى شملت كل فنون القول شعره ونثره .

صور من النقد فى عصر بنى أمية

يروى أن وفدا من العراق قدم على معاوية فخطبهم قائلا ,,مرحبا بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر واليها المحشر، قدمتم على خير أمير يبر كبيركم ، ويرحم صغيركم ، ولو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء فقام صعصعة بن صوحان وكان من فصحاء عصره فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبى ثم قال : أما قولك : انا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمرى ما الأرض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس الا أعمالهم .

وأما قولك : منها المنشر ، و اليها المحشر ، فلعمرى ما ينفع قربها ولا يضر بعدها مؤمنا .

وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خير من أبى سفيان، آدم صلوات الله عليه ، فكان منهم الحليم والسفيه، والجاهل والعالم (٤٧)

فالنقد الذى وجهه ابن صوحان ينصب على دقة المعنى وصوابه، فأقدار الناس ومنازلهم لاتقاس الا بالمقياس الاسلامى الذى يتمثل فى الأعمال الصالحة التى تنفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، وليس للأرض التى يعيش عليها الانسان دخل فى تفضيله على غيره ، فقد جعل

الاسلام مناط التكريم هو التقوى ، حيث قال ,,ان اكرمكم عند الله أتقاكم (٤٨)

واذا كان مناط التكريم هو العمل الصالح فلايضر المؤمن بعد المنشر والمحشر ولا ينفعه قربهما .

القضية الثالثة التى نقد فيها ابن صوحان معاوية : دعوى أن الناس لو كانوا من ولد أبى سفيان لكانوا جميعا حلماء عقلاء، وهذا ما أنكره الاسلام على الجاهلية فقد أنكر عليها عصبيتها الهوجاء ونظرتها العرقية والعنصرية الضيقة فالمسلمون جميعا فى نظر الاسلام سواسية فى المصدر والمصير، كلهم لآدم وآدم من تراب ، فتفضيل ولد أبى سفيان من وجهة نظر الاسلام مرفوض شكلا وموضوعا فقد ولد الناس آدم عليه السلام وهو أفضل من أبى سفيان ، ومع ذلک فمنهم السفيه والحليم ومنهم العاقل والجاهل .

ومما يروى أن الفرزوق والأخطل وجريرا اجتمعوا فى مجلس عبدالملک بن مروان فقال : ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه فأيكم غلب فله هذا الكيس ، وكان به خمسمائة دينار ، فقال الفرزوق :

أنا القطران والشعراء جربى
وفى القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل :

فان تک زق زاملة فانى
أنا الطاعون ليس له دواء (٤٩)

وقال جرير :

أنا الموت الذى آت عليكم
فليس لها ربٍ منى نجاء

فقال عبدالملک لجرير : خذ الكيس فلعمرى أن الموت يأتى على كل شئ .

فالأساس الذى اعتمد عليه عبدالملك فى المفاضلة بين الشعراء الثلاثة هو مدى مبالغة كل منهم فى وصف نفسه ليناسب مقام الفخر .

وتدلنا هذه الملاحظة على انه كان يعرف المبالغة كفن من فنون القول وأنها مما تناسب مقام الفخر : فقد أعطى الجائزة لمن هو أكثر مبالغة فى قوله .

ولقى عبدالملك بن مروان بمجلسه أعرابيا أعجبه حديثه ، فسأله :

ألك علم بالشعر؟ فأجابه : سلنى عما بدا لك يا أمير المؤمنين .

فقال : أى بيت تقوله العرب أمدح ؟ قال قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايـا
وأندى العالمين بطون راح

قال عبدالملك : فأى بيت تقوله اغزل ؟ قال قول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانـــا

قال : فأى بيت تقوله أفخر ؟ قال قوله أيضا :

اذا غضبت عليـك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

قال : فأى بيت أهجى ؟ قال قوله :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابـــا

وكان جرير جالسا، فهم أن يعطيه جائزته فأرضاه عنه عبدالملك فهذا نقد للشعر بالموازنة بين ما قيل منه في كل فن من أشهر فنونـه ، والحكم عليه ، وهو وان لم يفصل ولم يعلل فقد حرك القريحة للتأمل والنظر (٥٠)

ويروى ان ابن قيس الرقيات مـدح عبدالملك بن مروان بقصيدته البائية فلما وصل الى قوله :

يأتلق التاج فوق مفرقــه

على جبين كأنه الذهب

لم يرض عبدالملك أن يمدح بأشياء تتصل بالزينة والشكل وكل ما يتصل بأوصاف الجسم وقال له :

قد قلت فى مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله

تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم، وأعطيتــى من المدح مالا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة •

وقد قال العلماء : ان هذه الملاحظة هى التى ألهمت قدامة بن جعفر فكرة أن يكون المديح بالفضائل النفسية ، لا بأوصاف الجسم ، وما يتصل بها من الحسن والبهاء والزينة (٥١)

وكان ذوالرمة ينشد احدى قصائده بسوق الكناسة بالكوفة ، فلما انتهى الى قوله :

اذا غير النأى المحبين لم يكد

رسيس الهوى من حب مية يبــرح

فلما سمعه ابن شبرمة صاح قائلا ,,اراه قد برح » وكأنه لم يعجبه التعبير بقوله :

,,لم يكد،، فكف ذوالرمة ناقته وجعل يتأخربها ويفكر ، ثم عاد فأنشد :

اذا غير النأى المحبين لم أجد

رسيس الهوى من حب مية يبرح (٥٢)

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ناقـدة بارعة يأتـى اليها الشعـراء لينشـدوا قصائدهــم بحضرتها وكانت تلفتهم الى ما فى شعرهم من اخطـاء انشد نصيب قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان امــت

فياويح قلبى من يهيم بها بعدى

فعاتبته بأنه صرف همه الى من يعشقها بعده ، وفضلت أن يقول :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت

فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

وسمعت الأحوص يقول :

من عاشقين تراسلا وتواصلا

ليلا اذا نجم الثريا حلقــ

باتا بانعم ليلة وألذهــا

حتى اذا وضح النهار تفرقا

ففضلت أن يجعل مكان ,,تفرقا،، تعانقا،،

وسمع عبدالملك بن مروان قول دريد بن الصمة :

قتلنا بعبد الله خير لداته

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب (٥٣)

قال كالمتعجب : لولا القافية لبلغ به آدم .

وهذا مما يدل على معرفته لفنون القول ، وضروب البيان، وقد سمى العلماء هذا اللون من البلاغة ,,الاطراد،، وعرفوه بأنه : ,,الاتيان بأسماء الممدوح ، أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة ، من غيـر تكلف فى السبك، حتى تكون الأسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه (٥٤) ومثلوا بأمثلة منها هذا البيت .

ودخل جرير على عبدالملك بن مروان فأنشـده قصيدتـه التـى أولها:

أتصحوا أم فؤادك غير صاحـــى

فقال له عبدالملك : بل فؤادك أنت (٥٥) وكأنه استثقل هذه المواجهة مع علمه بأن الشاعر يخاطب نفسه ، وليس الخطاب موجها له .

ودخل ذوالرمة عليه فاستنشده شيئا من شعره فأنشده قصيدته التى مطلعها :

,,ما بال عينيك منها الماء ينسكب،،

وكانت بعين عبدالملك ريشة وهى تدمع أبدا فتوهم أنه يخاطبه، أو يعرض به ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ، وأمربا خراجه (٥٦)

وهاتان الملاحظتان تدلان بمنطوقهما على معرفة عبدالملك لقبح الاستهلال وتدلان بمفهومهما على معرفته لبراعة الاستهلال، وهذان اللونان من ألوان البلاغة التى اهتم العلماء بدراستها، فقالوا فى الأول : وينبغى أن يتجنب فى المديح ما يتطيربه .

ومثلوا له بالمثالين السابقين ، وقالوا عن الثانى : أنه أول ما يقرع السمع فاذا كان عذب اللفظ ، حسن السبك، صحيح المعنى وعى جميعه وان كان يخلاف ذلك أعرض عنه ورفض وان كان فى غاية الحسن (٥٧)

ويروى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبدالملك بن مروان فقالت له : يا أمير المؤمنين، مشت جرذان بيتى على العصى، فقال: ألطفت فى السؤال لا جرم لأردنها تثبت وثب الفهود، وملأ بيتها حبا (٥٨) وتدل اجابة سليمان لتلك السائلة على أنه كان يعرف التعريض كفن من فنون القول الراقية التى تتناسب وخطاب الملوك والخلفاء .

,,محصلة العصر ،،

وهكذا ازدهر الأدب والنقد ازدهارا يواكب الحياة الجديدة للدولة الاسلامية فى عصر بنى أمية ، وذلك لتعدد الأحزاب السياسية التى . كانت تحتاج الى شعراء وخطباء يؤيدونها ويدافعون عنها .

ثم اهتمام الخلفاء والأمراء بالشعر ونقدهم له جعل الشعراء يتنافسون فى التفوق والاجادة لعلهم يفوزون بالجوائز التى كان يمنحها الخلفاء لهم ، يضاف الى ذلك أن حياة الترف والرخاء التى

نعم بها كثير من الشعراء جعلتهم ينصرفون الى الغزل ويكثرون من مجالس اللهو والغناء مما أثرى الأدب وأفسح مجال النقد . فرأينا الاشارة الى فنون بلاغية هامة وردت على ألسنة الخلفاء كالمبالغة والاطراد والتعريض وبراعة الاستهلال ، وعكسه ، ورأينا كذلك نظريات تعد رائدة فى مجال النقد الأدبى وهى وجوب أن يكون المديح بالفضائل النفسية لا باوصاف الجسم وما يتصل بها من البهاء والزينة وبالجملة فقد خلف ذلك العصر تراثا نقديا هائلا كان له أثره الواضح فى ظهور المصنفات النقدية والبلاغية فيما بعد .

((اتساع دائرة النقد فى العصر العباسى))

تنتسب الدولة العباسية الى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قامت دولة بنى العباس على أكتاف الفرس الذين ظلوا يدعون لها سرا ويكونون الجيوش التى حاربت الأمويين ، حتى تمكن العباسيون من الاستيلاء على السلطة . يقول داود بن على عم ابى العباس السفاح ,,انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيابهم حقنا، وأظهر بهم دولتنا،، .

لقد كان الفرس أرباب حضارة عريقة وأصحاب مجد تليد قد غلبوا على أمرهم وخضعت بلادهم للحكم العربى، والمغلوب دائما يحاول ان يبحث عن متنفس لما يغلى فى صدره ، وها هى ذى الفرصة قد سنحت لهم، فراحوا يفرضون سلطانهم على الدولة الوليدة عساهم يستعيدون شيئا من عزهم الغابر ومجدهم المفقود، وكان لهم ما أرادوا فقد استعان بهم الخلفاء فى كل الشئون : السياسية والعسكرية والادارية فاتخذوا منهم الوزراء والقواد والولاة والكتاب، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه الى النسب والمصاهرة ، فاختلطت الدماء العربية بغيرها من الدماء الأجنبية حتى رأينا الكثير من العلماء والأدباء ، بل الأمراء

والخلفاء كانوا من أمهات غير عربيــات كالهادى والرشيد والمأمون والمعتصم ، ونشـأ جيـل جديـد فى المجتمـع العربـى عرف باسـم ,,المولدون،، وهم الذين ولدوا من أمهات غير عربيات ، أو من أصول غير عربية .

أحس هؤلاء المولدون بالحاجة الماسة الى تعلـم اللغة العـربية واتقانها واكتناه أسرارها واستخراج كنوزها لينالوا حظهم من السلطان، ويحققوا آمالهم من الشهرة وذيوع الصيب اذ كانت الوظائف المرموقة، والمناصب العليا تتمثل فى الكتابة والترجمة وتأتى عن طريق النبوغ فى العلوم العربية والاسلامية وترجمه العلوم الأجنبية لهذه الدولة الفتية التواقة الى المعارف ، المتطلعة الى تحصيل مختلف العلوم والثقافات .

ومن ثم أخذ المولدون يتجهون الى علوم العربية يدرسونها بعمق ، ويتعوفون أسرارها ويستخرجون كنوزها .

فها هوذا عبدالحميد الكاتب يوصى أهل صناعته بتحصيل علوم اللغة والدين فيقول ,,تنافسوا يا معشر الكتاب فى صفـوف الآداب ، وتفهموا فى الدين ، وابداء وابعلـم كتاب الله عزوجل ، ثم بعلم العربية فإنها نفاق السنتكم ، ثم أجيدوا الخط ، فانه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها فان ذلك معين لكم على ماتسمو اليه همتكم (٥٩) هذه وصية امام من ائمة أهل الصناعة ، ورأس من رؤوس الـفرس ، عرف كيف يصل الى أعلى المناصب فى الدولة الاسلامية . وتقفنا هذه الوصية على مدى حرص الموالى والمولدين على تحصيل الثقافة الاسلامية والعربية ، اذ لاسبيل الى ارتقاء ما تسمو اليه همتهم الا بذلك .

فنبغوا فى كل فروع اللغة وآدابها ، ورأينا منهم أعلاما فى كل علم وفن قدموا للدين واللغة أجل الخدمات وأفنوا حياتهم فى الدفاع عن الاسلام . ويكفى أن نعلم أن منهم : سيبويه، وأبا حنيفة ، والبخارى

، وعبدالقاهر الجرجاني وجار الله الزمخشري ، وفخر الدين الرازي ، وقدامة بن جعفر ، وأبا هلال العسكري .

وقد ترك هذا التنافس الفكري والثقافي آثارا بعيدة المدى في ازدهار الأدب ، وتنوع فنونه من كتابة وخطابة وشعرفنال كل فن من هذه الفنون حظه اللائق به ومكانته التي تتناسب مع تطور الحياة وتقدمها في دولة بني العباس ، فارتقى فن الكتابة وبلغ مبلغا عظيما من السمو والرفعة وصارت لها طرق متعددة ، وأنواع مختلفة ، فهناك الرسائل الرسمية التي يصدرها ديوان الخليفة ، والرسائل الاخوانية التي يكتبها الأصدقاء بعضهم الى بعض والرسائل الأدبية المطولة التي يكتبها البلغاء والأدباء مثل رسائل ابن المقفع ورسائل الجاحظ والتي منها : البخلاء والحاسد والمحسود .

وامتازت كتابة ذلك العصر بسعة الخيال، وعمق المعنى والتأنق في اختيار الألفاظ والاكثار من المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق والتوريه ومن أشهر الكتاب : ابن المقفع ، والجاحظ وابن العميد .

أما الخطابة فقد كان لها المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ، فهي لسان الخلفاء والأمراء ، قامت عليها الدولة ونهضت بها واعتمدت عليها في جذب القلوب ، وكسب الأنصار وليس ذلك فحسب ، بل كانت الحاجة اليها ماسة في تثبيت دعائم الملك ، وتوطيد أركان الدولة وحماية الخلافة ، وتهديد المعارضين ، ومجادلة الخصوم .

وامتازت الخطابة في العصر العباسي بجمال أسلوبها وفخامة ألفاظها وقوة تأثيرها وروعة تصويرها، وتأثر ها بأسلوب القرآن والاستشهاد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما الشعر فقد تطور تطورا يناسب رقي الحياة وازدهارها فلقد وجد الشعراء من مظاهر الحضارة مالا عهد لهم به

فأخذوا يصفون القصور والرياض والزهور والجد اول والغدران ، بعد أن كانوا يصفون الرمال والصحراء والناقة وثاروا على مطالع القصائد ولا سيما تلك التى تصف الأطلال ، وتبكى الديار واستبدلوا ذلك بوصف الخمر أو الغزل أو وصف الطبيعة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية جعلوا مطالع القصائد دالة على الغرض الذى قيلت فيه ، وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال كما جعلوا البيت الأخير موذنا بانتهاء القصيدة وهو ما يسميه البلاغيون ,,بحسن الانتهاء،، وعنوا باختيار ألفاظهم فجعلوها مناسبة للمقام رقة أو فخامة وسهولة أو جزالة وشاعت فى شعر هذا العصر المحسنات البديعية : كالطباق والجناس والتورية ورد العجز على الصدر .. الخ .

وتبعا لتطور الأدب وتنوع فنونه وتعدد مذاهبه تعددت مظاهر النقد وطرائقه وكثرت الملاحظات البيانية التى تتصل ببلاغة الكلام ، وتهدف الى سلامته من العيوب التى تخل بفصاحته . كما تعددت البيئات النقدية فهناك النقاد اللغويون والنقاد الشعراء والنقاد الكتاب ، ولكل منهم طريقته ومنهجه فى النقد فاللغويون كأبى عمرو بن العلاء والأصمعى وخلف الأحمر وابن الأعرابى والخليل بن أحمد وأبى عبيدة وسيبويه وابن قتيبة ، هؤلاء وغيرهم من اللغويين يعتبرون أنفسهم حراسا على اللغة وسدنة لها ,,فكانوا يلاحظون ظواهر اللغة وتطورها ويسجلون ملاحظاتهم عليها ولم يلبثوا أن جمعوا مادتها ووضعوا نحوها وصرفها وعروضها وعنوا مع ذلك برواية الشعر ونقده(٦٠)

وعلى الرغم من اتفاق اللغويين على هدف واحد وهو المحافظة على اللغة من آفات اللحن وصيانة اللسان العربى من اللكنة ورطانة الأعجمى الا أنهم لم يتفقوا على مذهب موحد يرتضونه جميعا، ويسيرون عليه فى النقد فانقسموا الى فريقين متميزين لكل فريق مذهبه ومنهجه الخاص به :

فالفريق الأول يتزعمه أبو عمرو بن العلاء المتوفى : ١٥٤ هـ ومذهبه الاشادة بشعر الجاهليين والتعصب على المحدثين . والفريق الثانى : يتزعمه خلف الأحمر المتوفى ١٨٠ هـ ، ومذهبه الاعتدال وعدم التعصب وانصاف المحدثين .

كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بأمور العرب مع صحة سماع وصدق لسان حدث أبو عبيدة الجاحظ عنه فقال :,,كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس وكانت كتبه عن العرب الفصحاء وعامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية ,,(٦١) ولكنه كان شديد التعصب على المحدثين حتى قال فى شعر جرير والفرزدق وأشباههما : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمـــر فتياننا بروايته (٦٢) وكان شديد التعصب للقدماء فلايعد الشعر الا ماكان للجاهليين فقد حكى الجاحظ عن الأصمعى قوله : جلست الى أبى عمرو عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامى (٦٣) وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحدا ترى قطعة ديباج،وقطعه مسح وقطعة نطع (٦٤) .

وقد تصل العصبية بالناقد من هؤلاء الى ان يناقض نفسه ويرجع عن حكمة دون أن يعترف بالفضل لمحدث يقول القاضى الجرجانى ,,وما أكثر أن ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جلة الرواة من يلهج بعيب المتأخرين فان أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فاذا نسب الى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ، ونقض قوله ، ورأى تلك الغضاضة أهونَ محملا، وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث والاقرار بالاحسـان لمولـد . حكى عن اسحـاق بن ابراهيم الموصلى أنه قال : أنشدت الأصمعى :

هل الى نظرة اليك سبيـل

فيبـل الصدى ويشفى الغليل

ان ما قل منک یکثر عندی
وکثیر ممن تحب القلیـــل

فقال : والله هذا الدیباج الخسروانی لمن تنشدنی؟ فقلت : انهما للیلتها فقال : لا جرم والله ان أثر التکلف فیهما ظاهر (٦٥)

فقد أعجب الأصمعی بهذا الشعر أشد الاعجاب وأطرب لسماعه حتی سأل عن قائله فلما علم أنه لمحدث رجع عن رأیه ولو أدی ذلک الی أن یکذب نفسه ، وینقض حکومته .

ویتابع ابن الأعرابی : أبا عمرو والأصمعی فی الازراء بشعر المحدثین والاشادة بشعر القدماء . فقد روی أنه أنشد أبیاتا من شعر أبی تمام وهو لا یعرف قائلها فاستحسنها وأمربکتبها ، فلما عرف أن أبا تمام قائلها قال : خرقوا (٦٦)

وروی عنه قوله فی شعر أبی تمام ,,ان کان هذا شعرا فکلام العرب باطل (٦٧) ولم یقتصر نقد اللغویین علی شعر المحدثین من معاصریهم بل امتد لیشمل شعر الجاهلیین ، فقد روی عن الأصمعی أنه نقد قول امری القیس فی وصف فرسه :

وأرکب فی الروع خیفانة
کسا وجهها سعف منتشـــر

,,الخیفانة : الجرادة ، ویقال : فرس خیفانة علی التشبیه لها بالجرادة ، لخفتها وضمورها„ .

قال الأصمعی فی نقد البیت : شبه شعر الناصیة بسعف النخلة والشعر اذا غطی العین لم یکن الفرس کریما، وذلک هو ,,الغمم„ والذی یحمد من الناصیـــة ,,الجثلة„ وهی التی لم تفرط فی الکثرة فتکون الفرس ,,غماء„ والغمم مکروه، ولم تفرط فی الخفة فتکون الفرس ,,سفواء„ والسفاء أیضا مکروه فی الخیل .

والجید ماقله عبید بن الأبرص :

مضبر خلقها تضبیرا

ينشق عن وجهها السبيـــب (٦٨)

,,يقال : فرس مضبر الخلق : أي موثق الخلق . والسبيب : شعر الناصية،،

وتدلنا هذه الملاحظة على أن الأصمعى كان يعرف التشبية وأركانه حيث ذكرهنا المشبه والمشبه به وأثر التشبيه فى المعنى مبينا أنه من التشبيه الردئ.

كما تدلنا على معرفة واعية بالألفاظ

ودلالاتها ومواطن استعمالاتها

فقد ذكر معنى : الغمم والغماء، والسفاء والسفواء ، والجثلة ، ثم بين ما يناسب المقام من هذه المعانى ومالا يناسبه .

هذا بالنسبة الى الغلاة والمتعصبين على المحدثين ، أما بالنسبة الى المعتدلين من أمثال : خلف الأحمر والجاحظ وابن سلام وابن قتيبة والمبرد ,,فقد ساءهم ماوجدوا عليه أسـلافهم ومشـايخهم من التعصب للقديم ، والاشادة به ، واحتقـــار الحديث والحط من شأنه لمجرد حدوثه، وكأن الله قد خص القدماء بالبلاغة وقصرها عليهم فلا يجب أن يوصف بها غيرهم ، مع أن بلاغة القول والاجادة فيه ليست مقصورة على قوم دون سواهم ولا على زمان دون غيره من الأزمنة وانما جعل الله ذلک قاسما مشتركا بين عباده جميعا بغض النظر عن الزمان والمكان والجنس يقول ابن قتيبـة فى مقدمة كتابه ,,الشعر والشعراء،، ,,لم أنظر الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا الى المتاخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه ، فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده الأ أنه قيل فى زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلک مشتركا مقسوما بين عباده ، وجعل كل قديم منهم حديثا فى

عصره ... فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى همت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم » (٦٩)

واذا كانت هذه النصوص تكشسف عن اتجاههم ومذهبهم فى انصاف الحدثين ، فقد طبقوا هذا المذهب فى نقدهم للشعر والموازنة بين الشعراء، فها هوذا خلف الأحمر الذى كان لايشق له غبار فى النقد ولا يجرى معه أحد فى حلبة هذه الصناعة وكان أروى الناس للشعر ، وأعلمهم بجيده ، نراه يفضل بعض شعراء عصره من المحدثين على بعض شعراء الجاهلية ، فقدم مروان بن أبى حفصه على أعشى بكر، روى ذلك ابن عبد ربه قال : ,,وقال مروأن بن أبى حفصة لما مدحت المهدى بشعرى الذى أوله :

طرقتك زائرة فحى خيالهـا

بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على نضراء البصرة فدخلت السجد الجامع فرأيت يونس النحوى فجلست اليه فقال : يا ابن أخى ان ههنا خلفا ، ولا يمكن لأحدنا أن يسمع شعراحتى يحضر ، فاذا حضر فأسمعه ، فجلست حتى حضر خلف الأحمر . فلما جلس جلست اليه وأنشدته حتى اتيت على آخره ، فقال لى : أنت والله كأعشى بكر ، بل أنت والله أشعر منه حيث يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها

غضبى عليك فما تقول بدالها (٧٠)

فهذه القصة وان لم تبين سبب تفضيل خلف لمروان بن أبى حفصة على الأعشى الا أنها تدلنا على انصاف هؤلاء النقاد للمحدثين ، وعدم تعصبهم للجاهليين ومع أن مقياس جودة الكلام عند النقاد اللغويين هو موافقته لقواعد اللغة من حيث : نحوها وصرفها وعروضها الا أنهم بجانب ذلك يعتمدون على الذوق كاداة هامة للتمييزبين جيد الكلام

من رديئه ، وهذا الذوق لا سبيل الى تحصيله الا بالممارسة والدربة والخبرة الطويلة برواية الشعر ونقده يقول ابن سلام : للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات » (٧١) ثم يروى عن خلف الاحمر ما يؤكد ذلك فيقول ,.قال قائل لخلف : اذا سمعت أنا الشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . فقال له خلف اذا أخذت أنت درهما واستحسنته فقال لك الصراف : انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ (٧٢)

فالنقد له رجاله الذين يستطيعون بثقافتهم وذوقهم أن يميزوا جيد الكلام من رديئة لا يشاركهم فى ذلك غيرهم ، كما أن لكل علم رجاله الذين يعرفون أسراره ودقائقه .

ولنقرأ معا الملاحظة الآتية لنقف على مدى اعتماد النقاد على الذوق فى نقد النصوص الأدبية .

قال الأصمعى : قرأت على ابى محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، فلما بلغت الى قوله :

وليل كابهام الحبارى محبب
الىّ هواه غالب لى باطله
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن
كمن نبله محرومة وجبائله
فيالك يوما خيره قبل شره
تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت : هكذا قرأته على أبى عمرو ابن العلاء ـ قال : صدقت ، وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع . قلت : كيف يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن يكون ,,خيره دون شره ،، فاروه كذلك ، فقد كانت الرواة قديما تصلح شعر الأوائل فقلت : والله لا أرويه الا هكذا (٧٣)

فلم ينقد خلف شعر جرير من جهة مخالفته للنحو أو الصرف أو العروض أو اللغة وانما نقده من جهة أخرى تعتمد أكثر ما تعتمد على الذوق العربى الأصيل : وهى عدم مطابقة الكلام لمقتض الحال .

فالمقام للاستمتاع بذكر وصال المحبوبة وهو مقام تكسوه البهجة ، وترفرف عليه السعادة فلايناسبه ذكر الشربعده، اذ ذكر الشر بعده يعكر صفو تلك السعادة ويفسد جوها .

ونقد اللغويين وان كان يغـلب عليه الطابع اللغوى الا أنه لا يخلو من اشارات بيانيـــة تعد من صميم البحث البلاغى ، فقد سئل الأصمعى عن أى بيت تقوله العرب أشعر فقال ,,الذى يسابق لفظه معناه (٧٤) ومعنى أن يسابق لفظ البيت معناه أن يكون الكلام بريئا من التنافر والتعقيد وضعف التأليف وأن تكون كلماته خالية من الغرابة ومخالفة الوضع اللغوى ، الى آخر تلك العيوب التى اشترط البلاغيون سلامة الكلام منها ليوصف بالفصاحة ، فتراه كما يقول أبو هلال سلسا فى النظام جاريا على اللسان لايتنا فى ولا يتنافر كأنه سبيكة مفرغة أو وشىء منمم أو عقد منظم من جوهر متشاكل ، ألفاظه متطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة (٧٥)

أما الخليل بن أحمد فقد أجاب عن هذا السؤال بقوله : أشعربيت قالته العرب هو البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته . (٧٦)

وكانت هذه الاجابة ايذانا بميلاد لون من ألوان البلاغة سماه قدامة بن جعفر ,,بالتوشيح ،، وجعله من نعت ائتلاف القافيه وقال فى تعريفه ماقاله الخليلوهو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ، ومعناه متعلقابه، حتى أن الذى يعرف قافيـــة القصيدة التى منها البيت اذا سمع أول البيت عرف آخره ، وبانت له قافيته ، ومثل له بأمثلة منها قوله الراعى :

وان وزن الحصى فوزنت قومى
وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فاذا سمع الانسان أول البيت استخرج منها لفظة قافيته لأنه يعلم أن قوله ,,وزن الحصى،، سيأتى بعد ، رزين لعلتين :
احداهما : أن قافية القصيدة توجبه ، والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذى يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول فى حصاه أنه رزين (٧٧)

وتبع قدامة ـ فى بحث التوشيح ـ علماء البلاغة الذين أتوا بعده وان خالفوه فى التسمية ، فأبو هلال العسكرى يرى أن تسميته بالتبيين أقرب (٧٨) ويسميه ابن رشيق ,,التسهيم،، (٧٩) وابن الأثير والخطيب القزوينى يسميانه ,,الارصاد (٨٠) وان أطلق عليه الخطيب التسهيم أيضا فالمسمى واحد وان اختلفت التسمية .

وعرف الخليل بن أحمد ,,تنافر الحروف ،، وهو من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة وذكر ذلك ابن سنان الخفاجى فقال ,,وقد روى أن الخليل بن أحمد قال : سمعنا كلمة شنعاء وهى ,,الهعخع،، ,,وأنكرنا تأليفها (٨١)

فالخليل قد عرف التنافر فى الكلمة ومثل له وأنكره ، وما زالت تلك الكلمة التى أنكر الخليل تأليفها تذكر فى كتب البلاغة كمثال من أمثلة التنافر الشديد (٨٢)

ويذكر الرمانى أن الخليل بين سبب التنافر فيقول : وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد، أو القرب الشديد ،، (٨٣)

وعرف على بن سليمان الأخفش الكناية حيث يقول : أول من سبق الى الكناية فى الشعر الجعدى فانه قال :

أكنى بغير اسمها وقد علـم
الله خفيات كل مكتتـم

فسبق الناس جميعا واتبعوه فيه (٨٤)

وهذه الكناية التى ذكرها الأخفش وان كانت بدائية لغوية اذا ما قيست بالكناية البلاغة الا أنها ظلت بهذا المعنى حتى منتصف القرن الثالث الهجرى (٨٥)

وأشار الأخفش الى الاستعارة التمثيلية فعند تفسير قوله تعالى : فألقى السحرة ساجـدين قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون (٨٦) قال الأخفش : لما رأوا الآية العظيمة لم يتمالكوا أن يسجدوا ، فكأنهم القاهم غـيرهم لسرعة وقوعهم (٨٧) وعلق قطب الدين الرازى على ذلك بقوله : فحالهم فى شدة وقوعهم أو سرعة وقوعهم كحال من يلقيه غيره فهى استعارة تمثيلية (٨٨)

وتحدث أبو عمر بن العلاء وحماد وأبـو عبيـدة والأصمعـى فى الاستعارة كفن من الفنون التى تتبارى فيها العقول ، وذلك فى قول امرى القيس :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكـــل

قال الباقلانى : قوله ,,قيد الأوابد» عندهم من البديع ، ومن الاستعارة ويرونه من الألفاظ الشريفة ، وعنى بذلك أنه اذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيدا لها وكانت بحالة القيد من جهة سرعة احضاره ، وذكر الأصمعى وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو أنه أحسن فى هذه اللفظة ، وانه اتبع فيها ولم يلحق ، وذكروه فى باب الاستعارة البليغة » (٨٩)

وتحدث أبو عمرو بن العلاء فى الاستعارة مصرحا بلفظها فى قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود والتوى
وساق الثريا فى ملاءته الفجر

قال ابن رشيق : استعار للفجر ملاءة ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى لأحد مثل هذه العبارة ، ويقول : ألا ترى كيف صير له ملاءة ، ولا ملاءة له . وانما استعار له هذه اللفظة » (٩٠)

وعرف الخليل بن أحمد والأصمعي ,,المطابقة ،، وحدد كل منهما معناهــا بحسب ماتراءى له فبينما يكتفي الخليل بتعريفها لغويا نجد الأصمعي يكاد يطلق عليها المعنى الاصطلاحي ممثلالها بأمثلة لايخلو منها كتاب من كتب البلاغة يقول الخليل : يقال ,,طابقت بين الشيئين . اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما (٩١)

ويقول الأصمعي : المطابقة في الشعر وضع الرّجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع، مثل قول النابغة الجعدى :

وخيل يطابقين بالذراعين

طباق الكلاب يطأن الهراســا (٩٢)

ثم يقول : وأحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا

ما الليث كذب عن أقرانه صدقا (٩٣)

,,ليث : خبر متدا محذوف تقديره : هوليث ، وعثر : مكان ،،

وقال الباقلاني : ومن البديع ما يسمونه المطابقة ، وأكثرهم على أن معناها على أن يذكر الشي وضده ، كالليل والنهار والسواد والبياض ، واليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي (٩٤)

وتحدث الأصمعي عن المبالغة والإيغال ، وحدد معنييهما وان لم يذكر اسميهما قال ابن رشيق : حــكى الحاتمي عن عبدالله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبــــرد قال : حدثني التوزى قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيرا ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيسا او ينقضي كلامه قبل القيافية فاذا احتاج اليها أفادبها معنى، قال قلت نحو من ؟ قال : نحو الأعشى اذ يقول :

كناطح صخرة يوما ليفلقها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٩٥)

فقد تم المثل بقوله : ,,واوهى قرنه » فلما احتاج الى القافية قال : الوعل .

قال : قلت : ثم نحو من ؟ قال : ذوالرمة بقوله :

قف العيـــس فى أطلال مية واسأل
رسوما كأخلاق الرداء المسلسل .(٩٦)

فتم كلامه، ثم احتاج الى القافية فقال : ,,المسلسل » فزاد شيئا (٩٧) فقوله الذى يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيرا ، أو يأتى الى المعنى الكبير فيجعله خسيسا ,,هو معنى المبالغة باقسامها وقوله أو ينقضـى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفادبها معنى » هو الايغال .

ومع أن كلام الاصمعى يشمل المبالغة والايغال الا أن الأمثلة التى مثل بها لاتنطبق الا على الايغال . فهل يا ترى كان الأصمعى يقصد مايفهم من كلامه ؟ أم ما يفهم من تمثيله ؟ وعلى كل فقد كانت اجابة الأصمعى على سؤال التوزى توجيها للعلماء لدراسة هذيـن الفنييـن اللذين هما من البلاغة بمكان .

وذكر الأصمعى الالتفات باسمه البلاغى ، ممثلا له بامثلة تنطبق على نوع من الاطناب يسمى ,,التذبـيل » عند الخطيب والجمهور ، ويجعله الزمخشرى نوعا من الاعتراض ياتى فى آخر الكلام (٩٨) قال ابن رشيق (٩٩) حكى عن اسحاق الموصلى أنه قال): قال لى الأصمعى : أتعرف التفات جرير ؟ قلت : وما هو ؟ فانشدنى :

أتنسى اذ تودعنا سليمـــى
بعود بشامة ، سقى البشـــام (١٠٠)

ثم قال : أما تراه مقبلا على شعره ، اذ التفت الى البشام فدعاله ؟ وانشد له ابن المعتز قوله :

متى كان الخيام بذى طلــوح
سقيت الغيث أيتها الخيــام (١٠١)

وقوله :

طرب الحمام بذى الأراک فهاجنى

لا زلت فى غلل وايک ناضر (١٠٢)

وقد استفاد ابن المعتز من كلام الأصمعى فى دراسة الالتفات ,,وجعله نوعين : أحدهما هو ما أشار اليه الأصمعى ، وعرفه ابن المعتز بقوله : ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر ، ومثل له بالبيتين السابقين ، أما النوع الآخر فهو ما يعرف بالالتفات عند الجمهور، وعرفه ابن المعتزبأنه : انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار، ومن الاخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلک (١٠٣) وهذا النوع هو ما أشار اليه أبو عبيدة فى كتابه ,,مجاز القرآن (١٠٤) ومثل له بقوله تعالى : ,,حتى اذا كنتم فى الفلک وجرين بهم بريح طيبة (١٠٥)

وذكر الخليل بن أحمد ,,الجناس،، وعرفه لغة فقال : الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو (١٠٦)

ودرس الأصمعى الجناس دراسة علمية حيث روى أنه ألف كتابا فيه ، فيقول عبدالله بن المعتز : المجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها . (١٠٧)

وعرف أبو عمرو بن العلاء والأصمعى المجاز المرسل ، فقد روى أن أبا عبيدة قال : لما أنشد ذوالرمة بلال بن أبى بردة مدحه فلما بلغ قوله :

رأيت الناس ينتجعون غيثا

فقلت لصيدح انتجعى بلالا

قال بلال : يا غلام اعلف ناقته فانه لا يحسن المدح فلما خرج قال له أبو عمرو : وكان حاضرا ـ هلاقلت له : انما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها ، كما قال الله عزوجل : واسأل القرية التى كنافيها . يريد أهلها ، وهلا أنشدته قول الحارث :

وقفت على الديار فكلمتنى

فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحبها ، فقال ذوالرمة : ياأبا عمرو أنت مفرد فى علمك وأنا فى علمى ذو أشباه .

فهو هنا يشير الى اطلاق لفظ الناقة وارادة صاحبها ، واستعمال القرية وارادة أهلها ، واستعمال القلوص وارادة صاحبها دون اشارة الى حذف فى الجملة وكل هذا من المجاز المرسل ، وان لم يسمه أبو عمرو باسم ولادل على علاقة فيه ولا ذكر قرينة له ولكن يكفينا منه انه عرف تأويله البلاغي دون انحراف به الى مجاز الحذف أو الاستعارة . (١٠٨)

ومثل ذلک ما قاله الاصمعي فى قوله تعالى : وثيابک فطهر . حيث قال : أراد بالثياب البدن . كقول العرب : فدالک ثوباى ، يريد نفسه وأنشد :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا

فدالک من أخى ثقة ازارى (١٠٩)

فالاصمعى يشير هنا الى اطلاق الثوب وارادة لابسه مجاز مرسل علاقته المجاورة .

مما سبق يتضح لنا أن نقد اللغويين لم يقتصر على مخالفة الشاعر قواعد النحو أو الصرف أو العروض أو الوضع اللغوى فحسب وانما امتد نقدهم ليشمل كثيرا من النظريات النقدية والبلاغية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية والمبالغة والالتفات الايغال والمطابقة والتجنيس والارصاد . كما عرفوا العيوب المخلة بفصاحة الكلام ، والمطابقة لمقتضى الحال مما أثرى البحث البلاغي ووسع دائرته .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله و اصحابه وسلم .

مراجع البحث

١ - اعجاز القرآن ، للباقلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٩ م .
٢ - البديع لعبد الله بن المعتز .
٣ - بغية الايضاح ، عبد المتعال الصعيدى .
٤ - البلاغة ، تطور و تاريخ ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ١٩٦٥ م .
٥ - البلاغة العربية فى دور نشأتها، سيد نوفل .
٦ - البلاغة القرآنية فى تفسير الكشاف ، للدكتور محمد أبو موسى ، دار الفكر العربى .
٧- البيان و التبيين : أبو عثمان عمرو الجاحظ ، تحقيق السندوبى .
٨ - البيان القرآنى ، للدكتور محمد رجب البيومى ، مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ، بالأزهر الشريف .
٩ - التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازى .
١٠- ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للخطابى و الرمانى و الجرجانى ، تحقيق الدكتور محمد خلف الله و الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف .
١١ - جامع الترمذى .
١٢ - حاشية قطب الدين الرازى على تفسير الكشاف ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
١٣ - خصائص التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة .
١٤- الخطابة فى صدر الاسلام ، للدكتور محمد طاهر درويش ، مكتبة الشباب .
١٥- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، شرح و تعليق عبدالمتعال الصعيدى ، طبعة محمد على صبيح ١٣٧٣ هـ .
١٦ - شرح ديوان الحماسة للتبريزى .
١٧- الشعر و الشعراء ، لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م .
١٨ - الصناعتين، لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على البيجاوى ، و محمد أبو الفضل ابراهيم .
١٩ - طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحى .
٢٠ - الطراز ليحيى بن حمزة العلوى ، مطبعة المقتطف ١٣٣٣٢ هـ .
٢١ - العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، لجنة التأليف و النشر ١٣٦٥ م .
٢٢ - الفهرست لابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت .
٢٤- فى النقد الأدبى عند العرب ، للدكتور محمد طاهر درويش ، مكتبة الشباب .
٢٥- الكشاف، للزمخشرى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى .
٢٦ - لسان العرب ، لابن منظور .
٢٧- المثل السائر، لضياء الدين بن الأثير ، تحقيق الدكتور بدوى طبانة ، و الدكتور أحمد الحوفى ، طبعة نهضة مصر .
٢٨ - مجمع الأمثال ، للميدانى ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٩ هـ .

٣٠ـ مناهج البحث البلاغي ، للدكتور عبدالسلام عبدالحفيظ ، دار الفكر العربي .
٣١ـ مناهج تجديد، للاستاذ أمين الخولي ، دار المعرفة .
٣٢ـ الموازنة للآمدي ، تحقيق الأستاذ سيد صقر ، دار المعارف .
٣٣ـ النقد للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف .
٣٤ـ نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيقي الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي .
٣٥ـ الوساطة بين المتنبي و خصومه ، لعلى بن عبدالعزيز الجرجاني .
٣٦ ـ الوزراء و الكتاب ، للجهشياري .
٣٧ـ الموشح للمرزباني ط السلفية : ١٣٤٣ هـ ـ

حواشى

١) سورة مريم : ٩٧ .
٢) سورة فصلت : ٣ .
٣) سورة البقرة : ٢٠٤ .
٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/٣ .
٥) مجمنع الأمثال للميداني ٤٣٣/١ .
٦) العمدة ٩٧/١ .
٧) الموازنة : ٣٨/١ ، ٣٩ . و الصناعتين : ٤ ٧ .
٨) الألهوب : شدة الجرى ، الدرة : شدة الدفع ، و المهذب : المسرع فى العدو
٩) المتحلب : طالب الحلبة ، بفتح فسكون ، وهى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة .
١٠) الصناعتين : ٤ ٧ .
١٠) الصناعتين : ٧٤ .
١١) مناهج البحث البلاغي : ١١ د . عبدالسلام عبدالحفيظ .
١٢) الصناعتين : ٨٥ ، ٨٦ . ولسان العرب : ٤ ٢٤٤٨ مادة صعر والموزانة : ١/٤١ ، ٤٢
١٣) ناج : صفة لموصوف محذوف ,,تقديره : جمل ناج ، أى ينجى صاحبه ، والمكّدم الفحل الغليظ الصلب .
١٤) الجفنات : جمع جفنة، وهى الاناء الكبير الذى يوضع فيه الطعام للأضياف والغر : جمع غرة، وهى بياض قليل فى لون آخر، والعنقاء : جد الأوس والخزرج : ومحرق أخوه ، وانما سمى محرقا لانه اول من عاقب بالنار ابنما : ابنا ، والميم زائدة .
(١٥) الموشح ص : ٦٠ وانظر البلاغة نظور و تاريخ ص : ١١
(١٦) خصائص التراكيب : ١٤ د. محمد ابو موسى
(١٧) البيان والتبليين : ١٢٨/١ .
(١٨) سابق : ٢١/١
(١٩) السابق : ٢٢/١
(٢٠) السابق : ٤٧/١
(٢١) البلاغة العربية فى دور نشأتها : ٥٤

٢٢) الصناعتين : ٤٤٠

٢٣) انظر مناهج تجديد ، أمين الخولى : ٩٧

٢٤) البيان القرآنى : ١٦ وما بعدها د. محمد رجب البيومى

٢٥) الكشاف : ١٨٣/٤ ، وانظر البيان القرآنى

٢٦) الفهرست لابن النديم : ٣٤/١، ٣٨

٢٧) السابق ص : ٣٤ ، ٣٨ والبلاغة العربية فى دور نشأتها ص : ١١

٢٨) انظر الكتب المرسلة الى هؤلاء فى كتاب الصناعتين : ١٥٥ ، ١٥٦ .

٢٩) البيان والتبيين : ٢٨/٢ ، ٢٩

٣٠) البيان والتبيين : ٢/٧٧ وما بعدها

٣١) العمدة : ٣٤/١

٣٢) مات حتفى أنفه أى مات على فراشه ، فان العرب تعتقد أن روح المريض تخرج من أنفه فان جرح خرجت من جراحه .

٣٣) البيان والتبيين : ٢٩/١ والترمذى : ٣٦٣/١

٣٤) السابق : ١٩٤/١ ، واعجاز القرآن للباقلانى : ٢١

٣٥) البلاغة العربية فى دور نشأتها : ٦٠

٣٦) البيان والتبيين : ٤١/٢

٣٧) ديوان الحماسة للتبريزى : ٣/١

٣٨) العمدة : ٩/١

٣٩) فى النقد الادبى عند العرب : ٨٤ ، ٨٥ د. محمد طاهر درويش

٤٠) العمدة : ٦٠/١)

٤١) فى النقد الادبى عند العرب : ٨٦

٤٢) العمدة : ٦٢/١

٤٣) النفار ، اللجوء الى حكم يرتضى حكمه ، والجلاء : ان يظهر الامر وينكشف

٤٤) العمدة : ٣٠/١

٤٥) فى النقد الادبى عندالعرب : ٩٤

٤٦) انظر هذه التعريفات فى كتاب الصناعتين : ٥١ ، ٥٢

الخطابة فى صدر الاسلام : ٢ /١٤٠

٤٨) الحجرات : ١٣

٤٩) الزق: السقاء ، والزاملة : بعير يستظهربه الرجل يحمل عليه متاعه .

٥٠) النقد الادبى عند العرب : ١٠٤

٥١) البلاغة تطور و تاريخ ١٨ : ١٩

٥٢) السابق : ٧٧

٥٣) عبدالله أخو الشاعر، وهو المقتول به ، ولداته : أترابه الذين ولدوا معه والمقتول : ذواب .

٥٤) بغية الايضاح : ٧١/٤، والعمدة

٥٥) العمدة : ١٤٨/١

٥٦) السابق : ١٤٨/١

٥٧) بغية الايضاح : ٤ ١٤٨ ، ١٤٩

٥٨ - الطراز ١ /٣٩٢

٥٩ ـ الوزراء والكتاب للجهشيارى : ٤٠
٦٠) النقد ص : ٣٤ د. شوقى ضيف
٦١) البيان والتبيين : ٢٠٩/١ ، ٢١٠
٦٢) السابق : ٢٠٩/١
٦٣) السابق : ٢٠٩/١
٦٤) السابق ، والعمدة : ٥٧/١
٦٥) الوساطة : ٥٠ ، والموازنة : ٢٤/١
٦٦) الموازنة : ٢٢/١
٦٧) السابق : ٢٠
٦٨) الموازنة : ٣٧/١ ، ٣٨
٦٩) الشعر والشعراء ص ، ١ ، ١١ : والعمدة : ٥٧/١
٧٠) العقد الفريد : ٣٠٦/٥
٧١) طبقات الشعراء ص : ٦
٧٢) السابق ص : ٨
٧٣) العمدة : ١٩٢/٢ ، ١٩٣
٧٤) العقد الفريد : ٣٢٥/٥
٧٥) الصناعتين : ٣٨٢
٧٦) العقد الفريد : ٣٢٥/٥ ، ٣٢٦
٧٧) نقد الشعر : ١٦٧ تحقيق د محمد عبدالمنعم خفاجى
٧٨) الصناعتين : ٣٨٢
٧٩) العمدة : ٢٦/٢
٨٠) المثل السائر : ٢٠٦/٣ ، وبغية الايضاح : ٢١/٤
٨١) سر الفصاحة : ٥٧
٨٢) شروح التلخيص : ٧٧/٤
٨٣) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن : ٦٩
٨٤) حاشية الامير على مغنى اللبيب ، ١٩٦/١
٨٦)
٨٥) مناهج البحث البلاغى : ٣١
٨٦) سورة الاعراف : ١٢٠ ـ ١٢٢
٨٧) التفسير الكبير : ٢٠٦/١٤
٨٨) حاشية القطب على الكشاف ق : ٢١٨ ب
٨٩) اعجاز القرآن للباقلانى : ٢٤، ٢٥
٩٠) العمدة : ١٨١/١
٩١) العمدة : ١٨١/١
٩١) العمدة : ٧/٢
٩٢) شبه الجعدى مشى الخيل بوطى الكلاب الهراس وهو حطام الشوك فهى لاتضع أرجلها الاحيث رفعت منه يداها طلبا للسلامة .

٩٣) العمدة : ٢/٧

٩٤) اعجاز القرآن : ٢٧

٩٥) الوعل : تيس الجبل

٩٦) العيس : الابل يخالط بياضها سواد خفيف، والاطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الاثار الأخلاق : جمع خلق وهو البالى ، والمسلسل : الردى النسج .

٩٧) العمدة : ٢/٤٦

٩٨) البلاغة القرآنية فى تفسير فى الزمخشرى : ٢٧٨ د . محمد أبو موسى .

٩٩) العمدة : ٢/٢٧ ٣٨ والصناعتين : ٣٩٢ ، واعجاز القرآن : ٣٤

١٠٠) البشام : شجر لا ثمر له .

١٠١ ـ ذوالطلوح : موضع .

١٠٢) ذوالاراک : موضع والغلل : الماء على سطح الحدائق ، والايک : الشجر الملتف

١٠٣) بديع ابن المعتز : ٥٨، ٥٩ .

١٠٤) مجاز القرآن : ١/١١

١٠٥) سورة يونس : ٢٢

١٠٦) بديع ابن المعز : ٢٥

١٠٧) بديع ابن المعتز ٢٥ اعجاز القرآن : ٢٨

١٠٨) مناهج البحث البلاغى ٣٤

١٠٩) اعجاز القرآن للباقلانى : ٢٧